

اختفاء عم ياقوت

عم ياقوت .. رجل تجاوز الخمسين واتجه نحو المستين ، ومع ذلك ظل مفتول العضلات ، عريض الأنكتاف، لم يتغير في صدره شعرة واحدة من المسواد إلى البياض. وكانت إقامته على عتبة جامع المؤيد بشارع الغوريه . وفراشه لا يزيد عن مشمع يلف به بطانية صوف من بطاطين الجيش، ويربطها بحبل، تاركًا إياها بجانب المباب، ولم يحدث أن اقترب منها لص أو حركها من مكانها عامل قمامه .. كان الجميع يعرفون أن هذا هو فراش عم ياقوت.

أما عمله فكان حملاً ، يستخدمه تجار الغوريه فى نقل وتحميل البضائع التي تتواجد على محلاتهم طوال النهار فى شكل بالات قماش، أو صناديق قيشانى، أو علب أحذية. وكان من أئمـا عم ياقوت أنه لا يتلقى أجـره عن كل عملية يقوم بها على حدة ، وإنما يمر على التجار فى أى وقت فينفحونه بما يجودون به، ولم يحدث أنه نظر إلى ما يعطونه أو استقله أو فاصلهم فيه. كان يقبل المقوش القليلة كما يقبل الجنـه والمخمسـة. وأحيـانـا كانوا يبعـثونـ إلـيـهـ منـ نفسـ الطـعامـ الذـىـ يـطـلـبـونـهـ لـأـنـفـسـهـمـ، مـرـةـ منـ عـرـبةـ المـكـشـرىـ، وأـحـيـانـاـ منـ محلـ المـكـبـابـ . وـفـىـ الـمـسـاءـ قـرـىـ عـمـ يـاقـوتـ جـالـسـاـ عـلـىـ عـتـبـةـ جـامـعـ المؤـيدـ مـبـتـسـمـاـ فـىـ أـمـانـ، وـهـوـ يـتـابـعـ الـمـحـرـكـةـ الـتـىـ لـاـ تـكـادـ تـتوـقـفـ أـبـدـاـ فـىـ شـارـعـ الغـورـيـةـ.

و ذات يوم اختفى من المكان عم ياقوت . و راحت بائعة اللبناني تقسم أنها رأته يدخل المسجد ولما يخرج منه، بينما أكد بائع العرقسوس أنه شاهده مع جماعة من المأرياف يتذاقشون بجانب المسور، وأنه كان مهموماً جداً بمشكلتهم . وعندما بدأت أسئلة التجار الذين كانوا يحتجون إلى خدماته تتزايد، همس أحد المصبية في محل المزداجيل بأنه شاهده آخر مرة مع امرأة فائقة الجمال يتذاجيان طويلاً، ثم مشى معها في اتجاه بوابة المتولى ولم يرجع ..

وفي لمح البرق، انتقلت المشائعت ، وتعددت عن عم ياقوت، بدءاً من اختفائه في الجامع كولي من أولياء الله الصالحين، حتى رحيله مع المرأة المعجبة، وتتطوع أحد كبار التجار فقرر أن يحتفظ بفراش عم ياقوت عنده في المحل ، مفسحاً له مكاناً هاماً بين البضائع المكدسة . وعندما حاول أحد زملائه من التجار أن يشير إلى فحولة عم ياقوت رغم حياته البسيطة نهره الجميع، وأكدوا أنهم لم يروا عليه شيئاً من هذا القبيل، وأن الرجل كان مواطباً على الصلوات الخمس ، وصيام رمضان، وكانت كل أمنياته أن يختتم حياته بحج بيت الله الحرام . كان الحزن يملأ قلوب جميع من عرفه، إلى جانب الأسف على خسارة هذين المساعدين اللذين كانوا يحملان أثقال الأعمال، ومن الغريب أن أحداً منهم لم يسأل نفسه سؤالاً واحداً : من أين جاء عم ياقوت؟ وما هي بلده؟ كما أن أحداً لم يتحدث معه ذات يوم عن أصله وفصله؟!